

-٦-

الافتراء على القرآن الكريم

ثم . . هل يليق بمن هو فى مكانة الحبر الأعظم للفاتيكان أن يفترى على القرآن الكريم ، فيصف آياته بأنها «تعليمات أوامر اللثام»!!؟

يصنع ذلك مع القرآن الذى جاء مصدقاً لما سبقه من كل الكتب السماوية . .

والذى جاء مؤمناً بكل النبوات والرسالات ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] . . والذى تحدث عن توراة موسى فقال إن فيها هدى ونورا . .

وعن إنجيل عيسى فقال إن فيه هدى ونورا . .

والذى جعل مريم سيدة نساء العالمين . . وآية من آيات الله . .

وتحدث عن المسيح ﷺ باعتباره آية من آيات الله . . ﷺ يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً . .

والذى اعترف بكل شرائع أهل الكتاب . . ودعاهم إلى كلمة سواء: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤] .

ولم يحتكر - هذا القرآن الكريم - النجاة لأهل شريعة دون من سواهم . . وإنما فتح أبوابها لأهل التوحيد الخالص . . والإيمان بالغيب . . والعمل الصالح . وفق آية

شريعة سماوية صحيحة أتى بها واحد من رسل الله - عليهم السلام ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] . . ذلك أن الله - الذى
أوحى هذا القرآن - ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠] .

فهل يليق بمنصف - مهما كان دينه أو كانت ثقافته - ينظر إلى القرآن نظرة موضوعية
محايدة - أن يصف هذا القرآن بأنه «تعليمات أو امر اللثام»؟! . . كما صنع عظيم
القائتيكان؟! .

* وإذا كان الخبر الأعظم للكاثوليكية - بنديكتوس السادس عشر - قد جهل التراث
الشرقى والعربى والإسلامى الذى شهد للإعجاز القرآنى، وأعلن أنه كلمة الله التى
أعجزت - ولا تزال تعجز - البشر قاطبة عن أن يأتوا بشيء من مثله . .

هذا التراث الذى حفظ التاريخ منه كلمات أئمة الفصاحة والبلاغة وأساطين صناعة
البيان . . من مثل:

- «أبو عبد شمس الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم (٩٥ ق هـ - ١ هـ/
٥٣٠ - ٦٢٢ م] . . وهو من زعماء قريش . . وزنادقتها . . ومن قضاة العرب فى
الجاهلية . . والملقب «بالعدل» لأنه كان عدل قريش كلها . . والذى شهد للقرآن الكريم
- رغم شركه - عندما سمع رسول الله ﷺ يتلو - فى المسجد - سورة غافر، فقال:

«والله لقد سمعت من محمد كلاماً أنفا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن .

والله ما هو بكاهن، فقد رأينا الكهان فما هو بزمنة^(١) الكاهن ولا سجعه .

ووالله ما هو بجنون . فقد رأينا الجنون وعرفناه . فما هو بخنقه^(٢) ولا تخالجه^(٣)

ولا وسوسته .

(١) الزمنة: الصوت يسمع من بعيد، وله دوى .

(٢) صوت المخنوق .

(٣) الاضطراب والتمايل .

والله ما هو بشاعر، فقد عرفنا الشعر كله، رجزه^(١) وهزجه^(٢) وقرضه^(٣) ومقبوضه^(٤) ومبسوطه^(٥)، فما هو بشاعر.

والله ما هو بساحر، فقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفته^(٦) ولا عقده^(٧).

والله إن لقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أصله لمغدق^(٨)، وإن فرعه لمشمر. وإنه يعلو ولا يُعلَى عليه.

وما أنتم - [يا معشر قريش] بقائلين - [فيه] - من هذا شيئا إلا وأنا أعرف أنه باطل^(٩).

- وشهادة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس - أبو وليد (٢ هـ / ٦٢٤ م) - وهو من سادة الشرك في قريش ومكة - شهادته للقرآن عندما سمعه من رسول الله ﷺ فقال:

«لقد سمعت قولاً، والله ما سمعت مثله قط. والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة. . والله ليكونن لهذا الذي سمعت نبأ عظيم^(١٠)».

- وشهادة الدكتور طه حسين [١٣٠٦ - ١٣٩٣ هـ / ١٨٨٩ - ١٩٧٣ م] - وهو أحد أبرز البلغاء في القرن العشرين. . والذين جمعوا ثقافة الغرب إلى ثقافة الشرق. . شهادته على تفرد القرآن وعلوه على الإبداع البشري. . عندما قال:

«لقد قلت في بعض أحاديثي عن نشأة النثر عند العرب:

(١) بحر من بحور الشعر العربي، وزنه «مستعلن» ست مرات.

(٢) بحر من بحور الشعر العربي، وزنه «مفاعلن» أربع مرات.

(٣) الشعر؛ لأنه اقتطاع من الكلام.

(٤) ما حذف منه الخامس الساكن من الجزء - مثل حذف النون من «فعولن»، فتصبح «فعول».

(٥) بحر من بحور الشعر، وزنه «مستعلن فاعلن مستعلن فعلن».

(٦) النفت من معانيه: السحر - والمنفوث هو المسحور.

(٧) العقد يعقدها الساحر.

(٨) المغدق: المخصب.

(٩) محمد بن يوسف الصالحى الشامى [سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد] ج٢ ص ٤٧٢، ٤٧٣،

تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد. طبعة القاهرة سنة ١٤١٨ هـ / سنة ١٩٩٧ م.

(١٠) أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى [مختصر سيرة ابن هشام] ج١ ص ١٨٧. طبعة القاهرة سنة

١٤٢٢ هـ / سنة ٢٠٠٢ م.

إن القرآن ليس شعرا ولا نثرا، وإنما هو قرآن، له مذاهبه وأساليبه الخاصة فى التعبير والتصوير والأداء .

فيه من قيود الموسيقى ما يخيل إلى أصحاب السذاجة أنه شعر، وفيه من قيود القافية ما يخيل إليهم أنه سجع . وفيه من الحرية والانطلاق والترسل ما يخيل إلى بعض أصحاب السذاجة الآخرين أنه نثر .

ومن أجل هذا خُذع المشركون من قریش، فقالوا: إنه شعر . وكذبوا فى ذلك تكديبا شديدا .

ومن أجل هذا خُذع كذلك بعض المتتبعين لتاريخ النثر فظنوا أنه أول النثر العربى، وتكذبهم الحقائق الواقعة تكديبا شديدا .

فلو قد حاول بعض الكتاب الثائرين - وقد حاول بعضهم ذلك - أن يأتوا بمثله لما استطاعوا إلا أن يأتوا بما يضحك ويثير السخرية^(١) .

هكذا شهد أساطين البلاغة والفصاحة والبيان للقرآن بالإعجاز . . وعلى مر التاريخ . .

* وإذا جاز لعظيم القاتيكان أن يجهل هذه الشهادات الشرقية للقرآن الكريم بالتفرد والإعجاز . . أو أن يتجاهل الإعجاز الأكبر والأخلد للقرآن: إعجاز صناعة الإنسان السوى والمجتمع السوى عبر الزمان والمكان - فضلا عن الإعجاز بالإنباء بالغيب . . والإشارات للإعجاز العلمى . . إلخ . . إلخ . . فهل يجوز لمثل عظيم القاتيكان أن يجهل ما كتبه علماء غربيون، بلغات غربية عن هذا القرآن الكريم؟!

وهلا قرأ - قبل أن يصف القرآن بهذا الوصف الغريب والعجيب والمريب - ما كتبه عملاق الثقافة الإنجليزية الدكتور مونتجمرى وات - بعد رحلة مع القرآن والدراسات الإسلامية زادت عن ثلث قرن - توّجها بحديثه عن القرآن، الذى قال فيه :

«إن القرآن ليس بأى حال من الأحوال كلام محمد، ولا هو نتاج تفكيره، وإنما هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه، ومن هنا فإن محمداً ليس أكثر من

(١) د . طه حسين [الفتنة الكبرى - عثمان] ص ٣٢، طبعة القاهرة سنة ١٩٨٤ م .

«رسول» اختاره الله لحمل هذه الرسالة، إلى أهل مكة أولاً، ثم لكل العرب، ومن هنا فهو قرآن عربي مبين . .

إننى أعتقد أن القرآن، بمعنى من المعانى، صادر عن الله، وبالتالي فهو وحي . .

إننا نؤمن بصدق محمد وإخلاصه، عندما يقول: إن كلمات الله ليست نتيجة أى تفكير واع منه . . وربما كانت الملامح الأساسية للوحي يمكن اختصارها فى العناصر الثلاثة الآتية:

١ - أن الكلمات المنزلة على محمد كانت تحضر فى عقله الواعى .

٢ - وأن تفكيره الشخصى لم يكن له دور فى ذلك .

٣ - وأن يقينا جازما كان يمتلك فؤاده أن هذه الكلمات هى من عند الله .

لقد وجد محمد الكلمات، أو المحتوى الشفهى حاضرا فى وعيه، فلما تمت كتابته شكّل النص القرآنى الذى بين أيدينا . وكان محمد واعيا تماما أنه لا دخل لتفكيره الواعى فى هذه الرسالة القرآنية التى تصله . وبتعبير آخر فقد كان يعتقد أنه يمكنه أن يفصل بين هذه الرسالة القرآنية وبين تفكيره الواعى، الأمر الذى يعنى أن القرآن لم يكن بأية حال من الأحوال نتاج تفكير محمد . . إنه لا ينبغى النظر إليه باعتباره نتاج عبقرية بشرية .

وفى الحوار مع الإسلام، يجب أن يتخلى المسيحيون عن فكرة أن محمداً لم يتلق وحيًا، وعن الأفكار الشبيهة .

وعندما تحدى محمد أعداءه بأن يأتوا بسورة من مثل السور التى أوحيت إليه، كان من المفترض أنهم لن يستطيعوا مواجهة التحدى؛ لأن السور التى تلاها محمد هى من عند الله، وما كان لبشر أن يتحدى الله . وليس من قبيل الصدفة أيضا أن كلمة (آية) تعنى علامة على القدرة الإلهية، وتعنى أيضا فقرة من الوحي . .

وإذا لم يكن محمد هو الذى رتب القرآن بناء على وحي نزل عليه، فمن الصعب أن نتصور «زيد بن ثابت» [١١ ق. هـ - ٤٥ هـ / ٦١١ - ٦٦٥ م] أو أى مسلم آخر يقوم بهذا العمل . . ومن هنا فإن كثيرا من السور قد اتخذت شكلها الذى هى عليه منذ أيام محمد ﷺ نفسه . . والقرآن كان يُسَجَّل فور نزوله . .

ورغم كثرة القراءات للقرآن فإن أيا منها لم تؤد إلى جنوح معانى القرآن بحيث تجعلها بعيدة عن المعانى المفهومة من القراءات الأخرى . .

إن القرآن يحظى بقبول واسع، بصرف النظر عن لغته؛ لأنه يتناول القضايا الإنسانية . .

وإذا كان القرآن كلام الله وحده، ورسالته إلى محمد، فإن الكثيرين من المسيحيين لا يفترضون أن كلمات الله - [فى العهدين القديم والجديد] - قد جلبها مصدر خارجي ممثل فى ملك أو ملائكة يملونها على كُتّاب الأناجيل، وإنما يُلقَى فى روع هؤلاء الكُتّاب أن ما يكتبونه إنما هو كلام الله حقا، والأنبياء الوارد ذكرهم فى العهد القديم يعلنون دون تردد «هكذا يقول الرب . .» .

ولذا فلا بد أنهم كانوا يعتقدون أن ما ينطقون به من كلمات هو بمعنى من المعانى كلمات الله حقا . .

ولو احتفظ يهود العصر ومسيحيوه بيهوديتهم ومسيحيتهم فى حالة نقاء لاعترفوا بالرسالة التى ألقاها الله إليهم عن طريق محمد، تماما كما فعل ورقة بن نوفل (١٢ق . هـ/ ٦١١م) الذى أفادت الروايات أن استجابته كانت إيجابية لمحمد . .

وإن إشارة القرآن إلى تحريف لحق اليهودية والمسيحية - وبصورتها الموجودة على أيامه - قول صحيح . .^(١)

تلك شهادة غربية للقرآن الكريم . . كتبها عكّم من أعلام الثقافة الغربية . . بعد رحلة مع القرآن والدراسات الإسلامية زادت عن ثلث قرن - ومثلها كثير فى دراسات العلماء الغربيين المنصفين للإسلام . . فلماذا غابت مثل هذه الشهادات عن ثقافة «أستاذ الفلسفة» وعظيم القاتيكان الذى تجاوز كل حدود المعقول والمقبول عند وصف آيات القرآن الكريم بأنها «تعليمات أوامر اللثام»!!

* * *

(١) مونتجمرى وات [الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر] ص ٣٥، ٣٦، ٨٣، ١٠٦، ٣٩، ١٧٠، ٢٠٦، ٥٢-٥٤، ٧١، ٢٣، ٦١، ١٢٨، ٦٣، ١٣١ - ترجمة: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ. طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م.

* إنه من الحق - بل ومن الواجب - أن يتساءل المرء عن الحد الأدنى من الموضوعية في هذا الذى افتراه بابا الفاتيكان! . . وأن يبحث عن قيم العدل والإنصاف التى اتفقت عليها جميع الديانات إزاء هذه الافتراءات التى افتراها الحبر الأعظم للفاتيكان على :
- رب العالمين - سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا . .

- وعلى رسول الإسلام، الذى وصفه ربه بقوله : ﴿وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم : ٤] . . والذى بعثه ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] . . ونوراً وبشيراً للعالمين . .

- وعلى الإيمان الإسلامى . . الذى بلغ الذروة فى التوحيد . . والتنزيه . . والتجريد - وعلى فكر المسلمين . . وحضارتهم . . التى أنارت الدنيا . . وعلمت البشرية . . ومثلت العالم الأول على ظهر هذه الأرض لأكثر من عشرة قرون .
أين الحقيقة من هذا الذى زعمه وافتراه عظيم الفاتيكان؟ . .

* أم أن «الغرض : مرض» قد أصبح يعنى حكماء الفكر ونطاسى الأطباء؟! . .

* أو أن «الكذب» قد أصبح «صناعة» كبرى وثقيلة تدر على «الكذبة» مليارات السُّحْتِ الذى به يرتزقون؟! . . وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة : ٨٢] . .

* * *

* وإذا كان هذا هو حكم بابا الفاتيكان على القرآن الكريم - كتاب الله المحفوظ . . والنص المؤسس للأمة الإسلامية وثقافتها وحضارتها . . فإن من حقنا أن نسأل بابا الفاتيكان، والحبر الأعظم للكاتوليكية، وأستاذ الفلسفة، عن رأيه فى العهد القديم - الذى يقدهسه . . ويتعبد بتلاوته - رغم ما قاله فيه علماء اليهود، من أن أغلب أسفاره لا علاقة لها بالوحى الإلهى ولا بموسى ﷺ، وبنص عبارة هؤلاء العلماء اليهود :

«فإن هذه الأسفار المقدسة هى من طبقات مختلفة، وعصور متباينة، ومؤلفين مختلفين، حيث تستوعب هذه الأسفار ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة من الزمن . . فلا ارتباط بينها، سواء فى أسلوب اللغة أم فى طريقة التأليف . .

إن القسم الأكبر من توراتنا لم يكتب فى الصحراء . . وموسى لم يكتب التوراة كلها . . وأقوال التوراة ليست إلا لفائف من أماكن وعصور مختلفة لرجال وحكام وعشائر وأسباط مختلفة . . ففيها ثمانى مجموعات تعود إلى عصور مختلفة، وهى :

١ - لفائف قديمة تعود إلى عصر الصحراء (فى سيناء) تم تحريرها من قبل أحد أبناء أفرام .

٢ - ولفائف من تعاليم الكهنة، تمت إضافتها إليها حتى عصر يوشع بن صادق .

٣ - ولفائف أعداد الأسباط .

٤ - ولفائف باعترافات الأنبياء .

٥ - ومجموعات من روايات بيت داود .

٦ - وأقوال الأنبياء ومجموعاتهم فى بابل .

٧ - وأقوال الكهنة والأنبياء العائدين من السبى .

٨ - وتكملات مختارة من عصر الحشمونيين . . [أى القرن الثانى قبل الميلاد].

. . إن سفر التكوين قد أُلّف بعد مئات السنين من استيطان اليهود فى فلسطين، وبعد أن تحصن الأسباط فى إرث استيطانهم بزمّن طويل، وإن مؤلف السفر لم يكن موجودا على كل حال قبل عصر إشعيا - [أى حوالى ٧٣٤ - ٦٨٠ ق. م].

أما بالنسبة لسفرى الخروج والعدد، فإنهما معالجة لأساطير وأشعار قديمة . .

وإن الإصحاحات الثمانية والثمانين الموجودة فى التوراة، بين أنشودة موسى - الموجودة فى سفر الخروج - وحتى الإصحاح الأخير من سفر العدد - هى فى مجموعها كتاب أحكام مركب من أجزاء شعرية وتاريخية، وأحكام قواعد الكهنة، وطبيعة الأحداث فيها تستلزم أن تتزايد التغييرات والازدواجيات والتعديلات، حيث إن العلاقة بين الأحداث ضعيفة، ومن الصعب علينا فهمها، وفى كل الأسفار كانت أقوال موسى قليلة إلى حد ما.

كما أن أقوال داود قليلة في سفر آخر منسوب إليه . . «^(١) .

نعم . . هذه شهادة العلماء اليهود، الخبراء في نقد النصوص الدينية . . تقول - يا عظيم الفاتيكان - إنك تتعبد بكتاب لا علاقة له بالوحي ولا بالقداسة، وإن علاقته بموسى أوهى من خيوط العنكبوت . . ومع ذلك فأنت تتهجم على القرآن الكريم!

* وإذا شئت - يا عظيم الفاتيكان - شهادة خبير آخر، وعالم في تحليل التوراة، على ما فيها من تناقضات تنفى عنها الوحي والقداسة . . فأليك شهادة العالم البارز الدكتور فؤاد حسنين على . . أستاذ العبرية والتراث اليهودى بجامعة القاهرة - فى كتابه [التوراة: عرض وتحليل] - والتي يقول فيها:

«إنه لا يوجد فى التوراة التى بين أيدينا خبر يُشتم منه أن موسى هو الذى جاء بها أو نزلت عليه، بل على النقيض من هذا يوجد فيها ما يؤيد عكس هذا، ومن هذه الأدلة مثلا:

ما جاء فى الآية السادسة من الإصحاح الرابع من سفر التثنية بخصوص وفاة موسى، فبعيد كل البعد كله أن يكون هذا الخبر صادرا عنه، فقد ورد فى هذه الآية:

«لا يعرف شخص قبره حتى يومنا هذا» . .

وفى الآية العاشرة من الإصحاح نفسه جاء «ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى فكان حليفا جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض!»

فكل هذه الآيات وأمثالها تدلنا على أن المؤلف شخص آخر غير موسى، كما أن هناك زمنا بعيدا بين وفاة موسى وبين تأليف التوراة التى بأيدينا .

ومن الأدلة الأخرى على ذلك، الاختلافات والتناقضات فى النص، كاستعمال (يهوه) و(ألوهيم)، وبعض الألفاظ الأخرى التى نعلم أن معانيها تختلف أحيانا حسب

(١) [تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث] ج١ . ص ٢٠٦، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٠، ١٩٦ . وهو مجموعة من الدراسات النقدية كتبها عدد من العلماء اليهود، الخبراء فى نقد النصوص الدينية - جمعها وحررها العالم اليهودى زلمان شازار - ترجمة: د . أحمد محمد هويدى . تقديم ومراجعة: د . محمد خليفة حسن . طبعة القاهرة - المجلس الأعلى للثقافة سنة ٢٠٠٠م .

البيئة وحسب الزمن . . . والتي لا يمكن أن تكون قد صدرت عن شخص واحد في عصر واحد» :

فقصة الخلق مثلاً جاءت في سفر التكوين - الإصحاح الأول : ٢٧ - وفيها : كان الإنسان آخر الخلق ، وعرض للقصة نفسها في السفر نفسه - الإصحاح الثاني : ٤ - ٢٥ - فكان الإنسان هو الأول ، وبعده جاءت الأشجار ، فحيوانات الحقول ، وطيور السماء . . الأمر الذي يجعل التوراة . . كما هي الآن وليدة عصور ونتاج عقليات متنوعة .

وقد استغلت في سبيل وضعها مصادر عديدة ، بعضها ذكر كما هو وبعضها حذف منه أو أضيف إليه . . ومن أدلة تعدد هذه المصادر الاضطرابات الموجودة في بعض القصص ، مثلاً قصة الطوفان : فالآية الثانية عشرة من الإصحاح السابع من سفر التكوين تنص على أنه دام ٤٠ يوماً و ٤٠ ليلة ، بينما نقرأ في الآية الرابعة والعشرين من الإصحاح السابع في السفر نفسه أنه دام ١٥٠ يوماً .

ثم إن أقدم المخطوطات الموجودة للتوراة الحالية بينها وبين النسخة الأصلية التي كتبت عنها مدة تقرب من ألف عام ، وفي هذه المدة طرأ على الكتابة العبرية شيء كثير من التغيير والتبديل . . «^(١) .

تلك هي شهادات العلماء الخبراء - من اليهود وغيرهم - في الكتاب الذي تقدسه وتعبده به يا عظيم الفاتيكان . .

* ويا ليتك - أيها الخبر الأعظم - قد امتلكت شجاعة البابا شنودة الثالث - بابا الإسكندرية والكراسة المرقسية - أعرق وأكبر الكنائس الشرقية - الذي لم يتحرج من الاعتراف - والإعلان - عن أن هذا العهد القديم - المتداول في كل كنائس العالم - قد حذفت منه الأسفار القانونية - أسفار بصيغة الجمع . . وليس سفراً واحداً - !! . .

فلقد نشرت صحيفة [وطني] - المسيحية - في عددها الصادر يوم الأحد ١٥ أكتوبر سنة ٢٠٠٦م . . أن البابا شنودة قد سئل في محاضراته الأسبوعية - يوم الأربعاء ١١ أكتوبر سنة ٢٠٠٦م . . عن الأسفار المحذوفة من الكتاب المقدس ، وهل بذلك يكون محرفاً؟

(١) د. فؤاد حسنين على : [التوراة عرض وتحليل] ص ١١ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٢٤ - ٢٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٤٦م .

فاعترف البابا شنودة بأن «هناك بعض الأسفار القانونية . . غير موجودة بالطبعة المتاحة بين أيدينا، وهذا نتيجة حذفها من قبل البروتستانت الذين يقومون بطبع ونشر الكتب المقدسة»^(١)!!

يا ليتك - يا عظيم القاتيكان - قبل التهجم على القرآن الكريم - المعجز والمحفوظ حفظاً متفرداً - قد امتلكت شجاعة البابا شنودة في الحديث عن كتابك المقدس - [العهد القديم] .

* ثم . . ألم يكن الأجدرك - يا عظيم القاتيكان - بدلاً من التهجم على القرآن الكريم . . والافتراء على آياته إلى حد وصفها بأنها: «تعليمات أوامر اللثام» - أن تشغل نفسك بالدفاع عن كتابك المقدس [العهد الجديد] . . لا أقول ضد الكتابات الإسلامية . . وإنما في مواجهة الكتابات الغربية التي ساقط ضده عشرات الأدلة التي تنفي موثوقيته ومن ثم قداسته؟! . .

إن مصدراً غربياً واحداً - هو دائرة المعارف البريطانية - تقول عن :

(أ) إنجيل متى: «إن كون متى هو مؤلف هذا الإنجيل أمر مشكوك فيه بجد» [٦ - ٦٩٧] .

(ب) وإنجيل مرقس: «في أفضل المخطوطات، فإن الأعداد من ٩ إلى ٢٠ تعتبر عموماً إضافات متأخرة، والأعداد الأخيرة - ١٦ : ٩ - ٢٠ غير موجودة في بعض المخطوطات، ويوجد عوضاً عنها مقاطع أقصر في مخطوطات أخرى . وهناك خلاف حول تأليف مرقس لهذا الجزء» [المجلد الثاني ص ٩٥١، ٩٥٣] .

(ج) وإنجيل لوقا: «إن مؤلف هذا الإنجيل يظل مجهولاً» [المجلد الثاني ص ٩٥٤] .

(د) وإنجيل يوحنا: - وهو الوحيد الذي انفرد بالحديث عن ألوهية المسيح . . يتعارض مع الأناجيل الأخرى في كثير من الوقائع الهامة . . حتى ليقول الأسقف «بايباس» المتوفى سنة ١٣٠م - بوجود أكثر من يوحنا . . وإن هذا الإنجيل قد كتب بواسطة حوارى مجهول الاسم [المجلد الثاني ص ٩٥٥] .

(١) صحيفة [وطني] «الكتاب المقدس بين الحذف والتحريف» عدد ٥ أكتوبر سنة ٢٠٠٦م - القاهرة . وانظر - في ملاحق هذا الكتاب - صورة تصريح البابا شنودة، كما نشرتها صحيفة [وطني] .

كما تقول دائرة المعارف البريطانية: «إن جميع النسخ الأصلية للعهد الجديد التي كتبت بأيدى مؤلفيها الأصليين قد اختفت. وإن هناك فاصلا زمنيا لا يقل عن مائتين أو ثلاثمائة سنة بين أحداث العهد الجديد وتاريخ كتابة مخطوطاته حاليا. . وإن جميع نسخ الكتاب المقدس قبل عصر الطباعة تظهر اختلافات فى النصوص. . وإن مقتبسات آباء الكنيسة من كتب العهد الجديد، والتي تغطيه تقريبا، تظهر أكثر من مائة وخمسين ألفا من الاختلافات بين النصوص» [المجلد الثانى ص ٩٤١].

وإذا كانت هذه مجرد إشارة واحدة إلى نموذج واحد من نماذج المصادر الغربية التي عرضت لمدى الثقة والموثوقية فى كتابك المقدس - يا عظيم القاتيكان. . أفما كان الأجدرك - كما هو شأن العقلاء - أن تهتم ببيتك. . وأن تقدم لرعيك ما يبعث على الطمأنينة إزاء كتابهم، بدلا من هذا التهجم - غير اللائق - على القرآن الكريم؟! .
أم أننا أمام المثل العربى الشهير - «رمتنى بدائها وانسلت» - يا عظيم القاتيكان!؟

* * *

* وإذا كان بابا القاتيكان - بنديكتوس السادس عشر - قد وصف آيات القرآن الكريم بأنها «تعليمات أوامر اللثام» . . فهل لنا أن نسأله عن رأيه - كأستاذ للفلسفة - فيما جاء بأسفار العهد القديم - التي يقدها - من فكر دموى وعنصرى، قد نسبوه إلى الله - تعالى عن ذلك - يأمر فيه بنى إسرائيل بإبادة كل شىء لدى الآخرين - البشر والشجر . . والحيوانات . . هذه النصوص التي منها:

- «فقال الرب لموسى: اكتب هذا تذكارا فى الكتاب، وضعه فى مسامع يشوع: فإنى سوف أمحو ذكر عماليق من تحت السماء» [سفر الخروج، إصحاح ١٧ - ١٤].

- «إن سمعت عن إحدى مدنك التي يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها، قول . . فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف، وتحرقها . . [أى تدمرها وتبيدها] بكل ما فيها من بهائمها بحد السيف، تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار،

المدينة ، وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك ، فتكون تلا إلى الأبد لا تُبنى بعد . . لكى يرجع الرب عن حُمُو غضبه ويعطيك رحمة» [سفر التثنية ، إصحاح ١٣ : ١٢ ، ١٥-١٧].

- «وكلم الرب موسى فى عربات موآب على أردن أريحا قائلا : كلّم إسرائيل وقل لهم : إنكم عابرون للأردن إلى أرض كنعان ، فستطردون كل سكان الأرض من أمامكم . . تملكون الأرض وتسكنون فيها ، وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا فى أعينكم ومناخس فى جوانبكم ويضايقونكم فى الأرض التى أنتم ساكنون فيها ، فىكون أنى أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم» [سفر العدد ، إصحاح ٣٣ : ٥٠-٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦].

- «وحين تقترب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ، ويُستعبد لك ، وإن لم تسالملك ، بل عملت معك حربا فحاصرها . وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة ، كل غنيمتها ، فتغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك ، هكذا تفعل بجميع المدن . . فلا تستبق منها نسمة ما . بل تحرمها - [أى تبيدها] - . .» [سفر التثنية ، إصحاح ٢٠ : ١٠-١٦].

- «سبعة شعوب دفعهم الرب إلهك أمامك وضربتهم ، فإنك تحرمهم - [أى تبيدهم] - . . لا تقطع لهم عهدا ولا تشفق عليهم . . ولا تصاهرهم . . لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك . إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض . . مباركا تكون فوق جميع الشعوب لا يكون عقيم ولا عاقريك ولا فى بهائمك . ويرد الرب عنك كل مرض وكل أدواء مصر الرديئة التى عرفتها لا يضعها عليك ، بل يجعلها على مبغضيك ، وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك . لا تشفق عينك عليهم» [سفر التثنية ، إصحاح ٧ : ١-٣ ، ٦ ، ٧ ، ١٤-١٦].

- «هكذا قال السيد الرب : قل لطائر كل جناح وكل وحوش البحر ، اجتمعوا تعالوا احتشدوا من كل جهة إلى ذبيحتى التى أنا ذابحها لكم . ذبيحة عظيمة على جبال إسرائيل لتأكلوا لحما وتشربوا دما ، تأكلوا لحم الجبابة وتشربوا دم رؤساء الأرض ، كباش

وحملان وأعتدة وثيران كلها من مسمنات باشان، وتأكلون الشحم إلى الشبع وتشربون الدم إلى السكر من ذبيحتي التي ذبحتها لكم» [سفر حزقيال، إصحاح ٣٩ : ١٧ - ١٩].

- «اقتربوا أيها الأمم لتسمعوا، وأيها الشعوب اصغوا لتسمع الأرض وملؤها المسكونة وكل نتائجها؛ لأن للرب سخطا على كل الأمم وحُموماً على جيشهم. قد حرّمهم دفعهم إلى الذبح، فقتلاهم تطرح وجيفهم تصعد ناناتها، وتسيل الجبال بدمائهم. ويغنى كل جند السموات. . للرب سيف قد امتلأ دماً» [سفر إشعيا، إصحاح ٣٤ : ١ - ٦]. .

* * *

صدقنى - يا عظيم الفاتيكان - إننى عندما أقارن هذا «الفكر الدموى العنصرى اللالإنسانى» بما جاء به المسيح ﷺ من مثل :
«تحب قريبك كنفسك» (رو ١٣ : ٩).

«أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم» (متى ٥ : ٤٤).
«لا تقاوموا الشر» (متى ٥ : ٣٩).

«لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء» (رو ١٢ : ١٩).

«نُشتم فنبارك، نضطهد فنحتمل، يفترى علينا فنعظ» (اكو ٤ : ١٢ - ١٣).

«باركوا على الذين يضطهدونكم، باركوا ولا تلعنوا» (رو ١٢ : ١٤).

«غير مجازين عن شر بشر، أو عن شتيمة بشتيمة، بل بالعكس مباركين، عالمين أنكم لهذا دعيتم لكي ترثوا بركة» (ابط ٣ : ٩).

«إن كان ممكنا، فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس» (رو ١٢ : ١٨).

«إن جاع عدوك فأطعمه، وإن عطش فأسقه؛ لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه، لا يغلبك الشر، بل اغلب الشر بالخير» (رو ١٢ : ٢٠ - ٢١).

عندما أقارن الفكر الدموى العنصرى اللإنسانى ، الذى جاء فى العهد القديم ، بهذه
السماحة المثالية التى أوصى بها المسيح ﷺ . . ثم انظر لصنيع كنيستك - وأضرابها - يا
عظيم الفاتيكان - فى إبادة الشعوب فى أمريكا . . وأستراليا . . ونيوزيلاندا . .
وإفريقيا . . ولهذا الذى يصنعه الغرب - بمباركة كنائسه - من النهب الاستعمارى . .
والاستعمار الاستيطانى . . والاستخدام المفرط لكل ألوان الأسلحة - حتى المحرمة
دولياً - ضد المسلمين وغيرهم من الشعوب المستضعفة . . أصل إلى اليقين الذى يقول -
يا عظيم الفاتيكان - إنكم وكنائسكم وأقوامكم لا علاقة لكم بالمسيح ﷺ !!
